حول الثقافة العربية

للأستاذ قدري حافظ طوقان

إن من يطالع المؤلفات الحديثة عن الحضارة العربية يرى آراء متضاربة في الأساس الذي قامت عليه ، وفي المناهل التي استقت منها ؛ ويرى كذلك تحاملاً عليها وانتقاصاً لقيمتها . فبعض المؤرخين لا ينسب إلى العرب أي فضل في خدمة الدنيا ، وينفي عنهم الابتكار ، ويقول إنهم لم يكونوا غير نقلة للعلوم ، وإن نتاجهم العقلي هو من الدرجة الثانية من حيث قيمته وأثره على تقدم العلم ، وإنهم كانوا متأثرين بالثقافة اليونانية وقد اتبعوها وفضلوها على غيرها . وهناك فريق آخر من الأوروبيين يرى غير ذلك ، ويقول بأن العرب فضلوا الثقافة الهندية وتأثروا بها أكثر من غيرها ، وإنهم كانوا عالة عليها اقتبسوا منها أكثر ما جاؤا به من آراء ونظريات في العلوم والفنون ، ويرى هذا الفريق في هذا قصصاً عمياً وناحية الضعف في الحضارة العربية.

وقد حاولت أن أعرف الأساس الذي يبني عليه هؤلاء العلماء أقوالهم وأحكامهم في الحضارة العربية ، فتوصلت بعد بحث إلى أن الأساس الذي يعتمدون عليه في هذا الشأن هو هذا الاقتباس ، إذ يرون فيه النقطة الضعيفة في تاريخ العلوم والفنون عند العرب

إن اقتباس العرب عن اليونان أو الهنود أو غيرهم ممن سبقهم من الأمم لم يكن إلاّ بموجب غريزة في الانسان تميزه عن الحيوان ، فالانسان على رأي الفيلسوف كورزبسكي (Korzybsky) يأخذ دائماً ما عمله غيره ويزيد عليه ، وإن قوة الانتاج في الانسان لا تقوم وتقوى إلا على نتاج السابقين . وعلى هذا فليس في الجري على هذه الغريزة عيب أو مجال للتنقص

لا ننكر أن العرب اقتبسوا عن غيرهم ، وهذا الاقتباس مما ساعد على تقوية قوى الانتاج فيهم ، ومما أدى إلى إصلاح الأخطاء التي وجدوها في تراث الأمم التي سبقتهم وإلى إضافة بحوث ونظريات هامة جعلت العلماء المنصفين يعتبرون بعض العلوم من موضوعات العرب . وتصفح بسيط لتاريخ العلوم في الرياضيات والطبيعيات والطب والفلسفة والفلك يثبت صحة رأينا ويريك خصب القريحة العربية بأجلى بيان

قال البارون دي فو : « إن الميراث العلمي الذي تركه اليونان لم يحسن الرومان القيام به ، أما العرب فقد حفظوه وأتقنوه . . . فهم لم يكونوا حفظة وخزنة للعلوم فحسب ، ولكنهم توفروا على ترقيتها وتطبيقها باذلين الجهد في تحسينها وإنمائها حتى سلموها للعصور الحديثة . . . » وقال الدكتور سارطون في إحدى محاضراته في جامعة بيروت الأميركية : « إن بعض الأوروبيين يحاولون أن ينتقصوا من قدر العرب العلمي في القرون الوسطى ، وذلك بقولهم إن العرب لم يكونوا غير نقلة للعلوم ولم يزيدوا عليه شيئاً ... هذا خطأ ... وإذا افترضنا أن العرب لم يكونوا غير نقلة أليس في عملهم هذا خدمة كبيرة للعالم ؟ فلولا نقلهم لما تقدمت العلوم تقدمها الحاضر ولكنا حتى الآن في قرون وسطى ... »

ويعتقد الدكتور سارطون بأن نقل العرب لم يكن ميكانيكياً بل على الضد فيه روح وحياة

والثاني — أنه كان يوجد بدنقلة عاصمتهم بعض المسلمين ما أدى إلى بناء مسجد لهم ، ولكن من هم هؤلاء المسلمون ؟ إني أرجح أنهم من المصريين أو العرب الذين نزحوا إلى العاصمة بدنقلة — بعد الغزوة الأولى بقصد التجارة .

وفي خلافة المأمون ثار البجة ، فسار إليهم عبد الله بن الجهم بعد هزيمتهم وعقد صلحاً مع ملكهم كانون الذي تعهد بالمحافظة على أرواح المسلمين وأملاكهم .

ومن هذا يتضح أن المسلمين كانوا عدداً قليلا وكان لهم المكانات في بلاد النوبة .

وفي عام ٩٦٩ م أرسل جوهر الصقلي رسلا إلى جورج ملك النوبة ليستلموا الجزية وليدعوه إلى الاسلام فسلم الجزية ولكنه امتنع عن اعتناق الاسلام .

وفي النصف الثاني من القرن الثالث عشر الميلادي انتشر الاسلام في الجهات القريبة من دنقلة وما أتت نهاية القرن الرابع عشر حتى كان الاسلام قد عم هذه البلاد .

فهمي عبد الجواد حبيب
المدرس بالمدارس الأميرية

هذا من جهة الذين يعيبون على العرب نقلهم عن الغير ، أما الذين يقولون بأن العرب فضلوا ثقافة على أخرى فمخطئون ، وسنحاول تبيان رأينا بإيجاز

اختلفت أقوال علماء الغرب فى أى الثقافات فضّل العرب فقال كاجورى إن الكرخى وأبا الجود والخيامى فضلوا الطريقة اليونانية على الهندية فى استعمال الأرقام ، وقال كانتور بوجود مذهبين مختلفين (فى زمن البوزجانى) أحدهما يتبع الثقافة الهندية والآخر اليونانية ، وقال أحد علماء الغرب بأن العرب تأثروا بالثقافة اليونانية وفضلوها على غيرها ، وقال آخرون مثل ذلك فى الهندية

والحقيقة أنه لم يكن موجوداً أى تفضيل ، فقد كان علماء العرب فى العصر العباسى يترجمون ما يقع تحت أيديهم من المخطوطات هندية كانت أو يونانية ، فالبيرونى ذهب إلى الهند وساح فيها بقصد البحث والاستقصاء والتنقيب ، وكذلك محمد بن موسى بن شاكر ذهب إلى اليونان ابتغاء الحصول على مخطوطات ورسائل ، وهناك من العلماء العرب من أوجدتهم ظروفهم إلى أن يستقوا من ثقافتين أو أكثر وقد مزجوا ما استقوا وكونوا من ذلك ثقافة خاصة . وعلى هذا فلم يكن هناك فكرة تفضيل إحدى الثقافات على غيرها بل جمع العرب الثقافات المختلفة التى نهلوا منها وخرجوا من هذا الجمع بثقافة تميزهم على غيرهم من الأمم . وقد لاحظ الدكتور سارطون كل هذا فقال : « والعرب لم يقتصروا على علوم اليونان فحسب ، بل أخذوا عن الهنود ، وفى كثير من الحالات جمعوا بين الثقافتين الهندية واليونانية . . . » وسبق الجاحظ الدكتور سارطون فيما قال ، فنجد فى كتاب الحيوان ما يلى : « وقد نقلت كتب الهند وترجمت حكم اليونان ، وحولت آداب الفرس فبعضها ازداد حسناً وبعضها ما انتقص شيئاً ... »

يتبين مما مر أن العرب لم يفضلوا ثقافة على أخرى ، ولم يأخذوا باحدى الثقافات ويتركوا البواقى ، إنما هم طلاّب علم راحوا يبحثون عنه فى الكتب والمخطوطات والرسائل القديمة من يونانية وهندية وفارسية وحبشية وسريانية وعبرية وغيرها ، فنقلوا ما عثروا عليه إلى لسانهم وهو معظم ما كان معروفاً من العلم والفلسفة عند سائر الأمم المتمدنة ، وكان أكثر نقلهم عن اليونانية والفارسية والهندية ؛ وقد يكون النقل عن اليونانية أكثر من غيره ولكن هذا لا يعنى أن العرب فضلوا ثقافة على غيرها . وعلى فرض أنهم تأثروا بالثقافة الأغريقية ، فهل هذا يعنى أن نية علمائنا الأقدمين تفضيلها على غيرها . وعلى كل حال فالقول بأن العرب فضلوا ثقافة على أخرى أو القول بوجود مذهبين مختلفين أحدهما يتبع الطريقة اليونانية والآخر الهندية قول خطأ لا يجب أن يؤبه له وهو من خيالات المستشرقين ، إذ لا يوجد من الأدلة ما يحققه بل على العكس لدينا شواهد عديدة تجعلنا نميل إلى أن العرب لم يخطر ببالهم تفضيل ثقافة على أخرى كما تجعلنا نميل أيضاً إلى القول بعدم وجود مذهبين مختلفين أو مذاهب مختلفة ، وبأن المآثر العربية في العلم والفن تأثرت بعناصر الثقافات المتعددة التى ساعدت على إيجاد ثقافة عربية لها مميزاتها وخصائصها الممتازة

(نابلس) قدرى حافظ طوقان

لجنة التأليف والترجمة والنشر

تستقبل اللجنة هذا العهد الجديد السعيد

بنشر تاريخ بطل مصر العظيم

ابراهيم باشا

وهو صورة جديدة رائعة للقائد المصرى المظفر عناصرها البطولة الحقة ، والسياسة الرشيدة ، والادارة الحكيمة ، والخلق الكريم ، مستمدة كلها من وثائق رسمية لم تنشر بعد فى محفوظات سراى عابدين العامرة والحكومات الأوربية

ألفه بالانجليزية

بيير كربتيس

القاضى الأمريكى بالمحاكم المختلطة سابقاً

وترجمه إلى العربية بأسلوب سلس متين

الاستاذ محمد بدران

ناظر مدرسة بنبا قادن الابتدائية

وهو يقع فى أربعمائة صفحة من القطع الكبير

تباع نسخته الانجليزية بسبعين قرشاً

وثمن الترجمة العربية عشرون قرشاً عدا أجرة البريد

ويطلب من مقر اللجنة رقم ٩ بشارع الكردامى

تليفون ٤٢٩٩٢ ومن المكاتب الشهيرة